قراءة في نص إحباط لهدى كفارنة

هيفاء حمّاد

إحباط

سألت النهر: "عجباً لمَ أنت صامت؟ قال: "لقد سئمت هذا البحر".

قال تعالى: "وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً". صدق الله العظيم.

بالعودة إلى قواميس اللغة العربية للبحث عن كلمة مرج (وهو الذي مرج) نرى أن هذه الكلمة تتضمن معاني ثلاثة، مرج (خلط ومزج)، المرج (هو الاختلاف أيضاً)، المرج (هو الاضطراب)، إنها آية عظيمة حدثنا فيها تبارك وتعالى عن حقيقة علمية موجودة بين النهر والبحر، وهي أنه رغم تدفق الأنهار العذبة إلى البحار المالحة، لا يحدث أي طغيان لهذا

على ذاك. أي لا طغيان للبحر على النهر ولا يمكن أيضاً أن يكون العكس، وهذا ما توصل إليه العلماء حديثاً بعد دراسات عديدة عند مصبات الأنهار في البحار. إذاً لماذا صمْت النهر؟ ولماذا سأَمه من البحر؟

تبدأ ومضة إحباط لهدى كفارنة بالجملة الفعلية (سألت النهر) وهنا كأننا نرى الراوية تقف على ضفة النهر أو بالقرب منه، بينما تجري مياهه دون أي خرير أو صوت لجريانها، مما يلفت انتباه الراوية، فتسأل سؤالها. ولربما أيضاً أن النهر قد جف ماؤه سيما وأن بعضها قد يجف خلال العام فالنهر عبارة عن مسطح مائي ينساب على اليابسة في مجرى طويل لا تنقطع مياهه طوال العام، ولكن بعض الأنهار قد يجف خلال السنة. فتتعجب الراوية من ذلك سائلة النهر عن سبب صمته قائلة: "عجباً لم أنت صامت"؟ وهنا الصمت له أكثر من احتمال كما أسلفت، فربما يكون هدوءاً وربما يكون جفافاً، ولكن المرجح أن يكون هدوءاً، لأنه لو

كان جفافاً لسألت المجرى وليس النهر. (قال: لقد سئمت هذا البحر)، إذاً رد النهر جاء مغلفاً، فلم يعطنا جواباً شافياً. ولو كان ما رد به النهر جواباً لقالت الراوية: (أجاب: لقد سئمت هذا البحر). وبالتالي كان قد أعطى تفسيراً لسأمه ربما. إنه سئم هذا البحر. واسم الإشارة هذا يدل على البحر الذي يصب فيه النهر. ومن هنا نستنتج أن الشخصية التي سألت سؤالها تقف عند مصب النهر في البحر أو بالقرب منه، فاسم الإشارة هذا يستخدم للمشار إليه القريب. فلم يسأَم النهر البحر في حين أن البحر يستقبله ويبسط سطحه له ترحيباً، ليصب فيه حيثما يشاء ويجري فيه كيفما يشاء؟ هل سأَم النهر جحود للبحر؟ أهو إحساس بالاعتقال؟ فالبحر يعتبر معتقل النهر إلى حد ما، فربما أراد النهر الإشارة بأن حياته تنتهي عند المصب الذي هو البحر، وأن مجرد وصوله للبحر والتحاقه به يلغي حريته فلا يعود مستقلاً بنفسه. أهو إحساس النهر برتابة حياته

وأن لا جديد يذكر فيها، فهو يقطع المسافات ويسقي العطاش على جانبيه وحيث يصل ماؤه ومن ثم تنتهي حياته إلى مصب هو بمثابة قبر له؟ هل سأم النهر من البحر جاء عن عدم تفكّر بما سيحل به بعد ذلك؟ ألم يفكر بالسفن التي تمخر عباب البحر متنقلة من خلاله إلى حيثما تشاء؟ ألم يفكر بالأسماك وبالمخلوقات المائية التي تعيش في البحر وبأهميته كرافد للبحر؟ هل نسي النهر أنه سيتبخر ويتكاثف يوماً ما ويهطل مطراً ليعود للحياة من جديد، فربما يكون نهراً مرة أخرى، وربما يكون نبعاً عذباً أو شلالاً؟ ما سبب ذلك السأم؟ لا أحد يدري، فالسؤال جاء مجرداً من أي إيحاء ولا جواب واضح له في النص، النهر سئِم البحر وفقط.

المدى الزمني للنص قصير، فقد جاء السؤال مباشراً وكذلك الرد عليه، فلم يفكر النهر أو يتردد قبل الرد.

أما بالنسبة للشخصيات فهناك شخصيتان رئيسيتان في النص الشخصية الأولى بضمير المتكلم (سألتُ) والثانية هي شخصية النهر.

أما بالنسبة أسلوب السرد والمنظور السردي، فالنص مروي بضمير المتكلم المشارك في الحدث وضمير الغائب المشارك كذلك في الحدث.

ويعتمد المنظور الخارجي(سألت، قال).